بهدينان في كتابات مؤرخي الموصل في القرن الثامن عشر ياسين بن خير الله العمري انموذجاً

أ. د. محمود صالح سعيد
كلية الاداب- جامعة الموصل /العراق

الملخص:

حظي تاريخ إمارة بهدينان في العهد العثماني باهتمام العديد من المؤرخين والرحالة الذين زاروا وكتبوا عنها نظراً لما تمتعت به الامارة من مكانة مهمة ونشاط عبر سنوات حكمها ، وكانت إمارة بهدينان تمثل واحدة من أبرز الامارات الكوردية التي ظهرت في العهد العثماني وكان لها ادواراً سياسية وحضارية مهمة وعلاقات بارزة مع المناطق المجاورة لها بما فيها ولاية الموصل . ونتيجة لهذه العلاقات فقد اهتمت الموصل بهذه الامارة وحظيت باهتمام من قبل الولاة والحكام ، مما استدعى قيام المؤرخين الموصليين بالكتابة عنها نظراً لقوة العلاقة بين الإمارة والموصل ، وترابط المصالح السياسية والاقتصادية بينهما لا سيما وأن التجارة كانت واحدة من أهم الروابط التي عزّزت العلاقة بين الموصل وإمارة بهدينان . ومن هذا المنطلق جاءت مؤلفات المؤرخ الموصلي ياسين بن خير الله العمري لتسلّط الضوء على جانب مهم من جوانب تاريخ إمارة بهدينان ، ولا سيما وأن مؤلفاته التي بلغت سبعة عشر مؤلفاً تضمن بعضها حديثاً متنوعاً عن إمارة بهدينان وتأريخها ، ولم يقتصر على الجانب السياسي فحسب بل شمل الجانب الاقتصادي والعلمي وفي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على جهود هذا المؤرخ الكبير الذي لا غنى لأي باحث في تاريخ المنطقة الاستغناء عن مؤلفاته .

مفاتيح الكلمات : *بهدينان ، ياسين العمري ، القرن الثامن عشر ، مؤرخو الموصل.*

أولاً : ياسين العمري والمؤرخون الموصليون:

وصف كيمب ياسين العمري بأنه واحد من أربعة مؤرخين موصليين يعدون من ضمن المؤرخين المحترفين (كيمب : ٢٠٠٧ ، ص١٤١-١٥٢) (*)ولكن يبدو أن ياسين العمري هو أعظم مؤرخي الموصل على الاطلاق لما ألّف من نتاج تاريخي وأدبي من الصعب إن لم يكن من المستحيل التخلي عن مؤلفاته ونحن نكتب عن تأريخ المنطقة في القرن الثامن عشر.

إن ياسين العمري رغم تواضعه واعترافه بقصوره العلمي (الشرعي) بالمقارنة مع أخيه الأكبر أمين العمري إلا أن المؤلفات الكثيرة التي تركها يجعلنا نقف باحترام وإجلال كبيرين لما

قدّم ، فمؤلفاته لم تقتصر على مدينة الموصل فحسب ، بل توجه إلى مختلف جهات المنطقة شمالاً وجنوباً ، إن ياسين العمري الذي نشأ في إسرة علمية ، مشهورة بعلمها ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدينة الموصل ، تجعل من مؤلفاته قيمة كبيرة ، ولا شك أن والده خير الدين كان يمثّل أحد مصادر معرفته ، وكذلك أخية أمين ، صحيح أن ياسين العمري لم يكن كأخيه في العلم الشرعي إلا أن توجهه الصوفي وتعليمه ، أهّلاه لتبوء مكانة مهمة في حقل التاريخ ، ولا شك أن المدرس الوحيد الذي وصلتنا معلومات عنه والذي درّس ياسين العمري هو الشيخ عبد القادر الاربيلي الذي أشتهر بالموصل عام ١٧٨٩م ، إذ درّس في مدرسة الحاج زكريا التاجر في محلة شهر سوق بباب عراق ، وتلقّى العلم الشرعي ، الفقه تحديداً ، منه وحصل على أول إجازة ، وكان عمر ياسين العمري قد تجاوز الست وأربعون عاماً ، فكانت بداية ، وإن بدت متأخرة نسبياً ، إلا أن نتاجه مثّل قفزة علمية ومعرفية هامة في تاريخ الموصل وما جاورها من مدن وبلدات وقصبات (كيمب ، ٢٠٠٧).

امتلك ياسين العمري ثقافة واسعة جداً ، ويبدو أن أخاه أمين ساعده في ذلك كثيراً (كيمب ،٢٠٠٧)، فقد عاشا في نفس الدار وتشاطرا الدار نفسه عقب وفاة والدهما في محلة باب عراق حتى سنة ١٧٧٧م ، ويعترف ياسين بعلم أخيه وفضله عليه ، فيقول عن أخيه أمين العمري :" أنا لست إلا قطرة في محيط ثقافته" (كيمب ، ٢٠٠٧، ص١٥٢).

لم يكن ياسين العمري مجرد مثقف منعزل عن محيطه بل دخل في خدمة الوزراء الجليليين أبرزهم الوالي سعد الله باشا بن حسين باشا الجليلي(١٨١٠-١٨١٢م) وكان إمامه الشخصي لأثني عشر سنة ، كما دبّر معيشته بتأليف الكتب والمدح للوزراء والأمراء والاعيان مُهدياً جميع كتاباته فاستحق لقب : مؤرخ البلاط الموصلي ، علماً أن تأليفه لم يكن بتكليف من أحد بل بدافعٍ شخصيٍ على أمل الحصول على مكافئة مالية من أصحاب المناصب ، ولم يستفد من كتب والده خير الله بعد ان استحوذ عليها أبناء أخيه أمين العمري ، فكان يعيش كفافاً حتى وصل به الأمر إلى بيع مسودة عمل تاريخي كبير كان يقوم بتصنيفه سنة ١٧٩٠م بسبب الحاجة ، ومع ذلك نجح ياسين العمري في تكريس جلّ وقته في الكتابة ، والعمل التاريخي ، حتى أصبح نتاجه التاريخي الواسع والثرّ مصدراً أساسياً من مصادر دراسة تاريخ الموصل والمنطقة حتى نهاية العصر الجليلي ، فهو المدون المحلي للعهد الجليلي بلا منازع (كيمب ، ٢٠٠٧).

ما وصلنا من مؤلفات لياسين العمري بلغت سبعة عشر مؤلفاً وهو عدد ضخم ليس جميعها متوفر أو متاح إذ أن ما وصلنا من مؤلفاته بلغت خمسة عشر مؤلفاً قسّمها الباحث البريطاني بيرسي كيمب إلى خمسة أصناف : تاريخ السلالات الحاكمة ، تاريخ حوليات (سنوية) ، معاجم التراجم ، التاريخ المحلي وتاريخ الاحداث . هذا فضلاً عن كتب في الادب : روضة المشتاق

ونزهة العشاق ، روض الادب ، وعيون الادب ، وكتاب في علم العروض : العذب الصافي في تسهيل القوافي ، وقصائد تشمل المديح والتاريخ وتفسير الاحلام وكتاب عن الصلاة والادعية : السيوف الساطعة ، ورسالة في الطب : الخريدة العمرية . كما استنسخ عدة كتب تعكس اهتماماً واضحاً في التصوف : اللمعة النورانية في حل مشكلات الشجرة النعماينة لصدر الدين القنوي (ت ١٢٧٣م) ، وكتاب : روض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي ، وكتاب : تحفة الراغبين في أمر الطواعين وهو مقتطف من بذل الماعون في أخبار الطاعون لأبن حجر العسقلاني ، وكتاب : الكشف عن مجاوزات هذه الامة للسيوطي (في علم الحديث) ، وكتاب : مسائل الخلاف بين الامامين لمؤلف مجهول ، وكتاب : القلائد والفرائد ، لعبد الغني النابلسي (في الفقه) وقصيدة : تحفة المبتدي ، وقطعة ادبية بعنوان : اختلاج الاعضاء (منسوبة للإمام جعفر الصادق) واستنسخ ايضاً : ديوان : صفي الدين الحلي (ت ١٣٤٩م) وكتاب : الدر النقي (في الموسيقى) (ترجمها مسلم اخي باب الموصلي لرسالة عبد المؤمن البلخي) (كيمب ، ٢٠٠٧) ، وسوف نفصّل الكلام عن هذه المؤلفات في المحور الرابع بقدر تعلقها بامارة بهدينان حتى لا نخرج عن الهدف الاساس لهذا البحث .

ثانياً : منطقة بهدينان أهمية الموقع والعلاقات الاقتصادية مع الموصل:

ترجع تسمية بهدينان إلى شخص يدعى بهاء الدين وكان أحد حكّام القلاع في منطقة شمدينان التابعة لولاية وان ، وان هذه الاسرة نزحت إلى العمادية وتولت حكم الامارة هناك ، في حدود القرن الثالث عشر للميلاد ، فانتسبت الامارة إلى اسم زعيم الاسرة الامير بهاء الدين (البدليسي، ٢٠٠١ ؛ العباسي، ١٩٦٩) وهكذا فإن مصطلح بهدينان هو الاكثر شيوعاً في الكتابات التاريخية بينما مصطلح بادينان هو الاكثر شيوعاً بين سكان المنطقة نفسها من حيث اللفظ (كيمب ، ٢٠٠٧).

تمتعت امارة بهدينان بعلاقات اقتصادية وثيقة مع الموصل إبان العهد العثماني، فقد كانت مدينة الموصل تتمتع بعلاقات اقتصادية واسعة مع مختلف البلدان المجاورة ، وكانت ترتبط بطرق تجارية متعددة ومتنوعة ، وكان من بين هذه الطرق طريق تجاري شهير يربط بين الموصل والعمادية عبر بلدات القوش ودهوك ، فكان هذا الطريق يعد من أكثر الطرق التجارية أماناً، إذ أقيمت على الطريق العشرات من القرى العربية والكردية والمسيحية مما يدل دلالة واضحة على الامان الذين كان عليه الطريق على عكس الطريق المؤدي إلى ماردين الذي كانت تحفه الكثير من المخاطر ، وفي هذا الصدد يشير كيمب :" إلى أن المبادلات التجارية بين الموصل مع إمارة بهدينان كانت واسعة جداً في حين بقيت المبادلات التجارية مع شرقي كردستان ويقصد بها : السليمانية وراوندوز وكويسنجق متواضعة " (كيمب ، ٢٠٠٧) و بالنظر لأهمية هذه العلاقات الاقتصادية والتجارية فقد وثّقها المؤرخ ياسين العمري في بعض كتبه ، وأشار إلى دور الاكراد

المحليين المسلمين بإنه كان متواضعاً بالمقارنة مع المسيحيين واليهود والارمن ، فقد وردت إشارة في كتابه زبدة الاثر يبين فيها كما قال : " بالنسبة لأمارة بهدينان لم يكن الاكراد المحليين المسلمين دور بالتجارة بل النشاط كان محصوراً على النصارى واليهود والارمن " (العمري ، ١٩٨٤، ص١١٣)، وهذا دليل على أن الاكراد لم ينشطوا بالتجارة بشكل كبير بل كانوا مزارعين بالدرجة الاساس .

كانت طبيعة العلاقات التجارية بين الموصل وبهدينان قائمة على أساس المبادلات التجارية الواسعة ، ففي حين كانت المبادلات التجارية مع شرقي كردستان : السليمانية وراوندوز وكويسنجق متواضعة، بقيت المبادلات التجارية مع بهدينان واسعة ، وكانت الطرق التجارية بينهما من أفضل الطرق التجارية ، وكانت الموصل تمثل مركز تجميع العفص وصوف الجبل ، واعتمدت الموصل وبهدينان على سلامة الطريق بينهما من أجل تحقيق الفائدة الاقتصادية بينهما ، ومما ساعد على توثيق الصلات التجارية بينهما أن نفوذ ولاية الموصل العسكري والسياسي كان خارج نطاق بهدينان في وقت كانت الامارة تابعة لحكم المماليك ببغداد في بعض الفترات وكان حرص حكام الموصل خاصة الجليليين على إدامة العلاقة مع المماليك أن يوطّدوا علاقاتهم مع إمارة بهدينان كي ما يغضبوا حكام بغداد ، ومع سقوط حكم المماليك في بغداد وانهيار الحكم الجليلي بالموصل تحولت إمارة بهدينان إلى حدود ولاية الموصل ، واندمجت معها ، فكانت هذه الخطوة طالع خير للتجارة بينهما واستطاعت الموصل ان تمد نفوذها وتحل محل بغداد في بهدينان وبالتالي الهيمنة على تجارة بهدينان والسيطرة على طريق سوريا التجاري (كيمب، ٢٠٠٧).

أدّت الموصل دائماً دور مدينة مركزية للتجارة مع البلدات المجاورة بما فيها بهدينان فكانت مختلف البضائع والسلع تأتي إلى المدينة ، وكان التجّار المواصلة يديرون التجارة معها ، وقد أشار العمري إلى أن المبادلات التجارية بين الموصل وبهدينان واسعة جداً والسلطات العثمانية كانت دائماً حريصة على ضمان أمن الطرق التي تربط الموصل بالعمادية وعقرة ودهوك ، والتأكيد على ضرورة استتباب الامن في هذه المنطقة الجبلية المهمة ، وكانت الموصل تتأثر بالنزاعات الكردية إلى حد كبير في تجارتها وكذلك حرفها (العمري ، ١٩٤٠) .

كانت أهم مواد التجارة بين الموصل وبهدينان هي مادة العفص ، إذ كان تجّار الموصل يجلبونها من الجبال ويشحنوها إلى سواحل البحر المتوسط والخليج العربي ، حتى كان يطلق عليه "العفص الموصلي" (كيمب ، ٢٠٠٧، ص٥١) الذي يمتاز بنوعيته الجيدة ، وقد قدّر الحاصل عام ١٨٣٠م بحوالي ١٠ الاف قنطار كان يصدر ربعه إلى حلب والباقي يجد طريقه إلى البصرة والهند وأوروبا ، وقسم لا بأس به يستخدم في الحرف داخل المدينة خاصة في دغ الجلود ، أما محصول القطن فلم يستطع انتاج القطن أن يلبي متطلبات الصناعة المحلية ، فكان تجّار القطن يشترونه

من جبال العمادية ، وفضلاً عن هاتين المادتين ، العفص والقطن ، فقد جهّزت إمارة بهدينان الموصل بمادة التبغ ، كما جهّزت بهدينان الموصل بجميع احتياجاتها من الخشب وفحم الخشب الذي له استعمالات متعددة للتدفئة والطبخ وبعض الصناعات والحرف وكان تجّار الموصل ينقلونه بأنفسهم (العمري ، ١٩٨٤ ؛ كيمب ، ٢٠٠٧) كما كانت بهدينان تنتج الصوف والجلود المدبوغة وحلوى منّ السماق والعنب والزبيب والتفاح والعرموط والرمّان والجوز والخيار والعسل واللبن وكذلك الأواني الفخارية التي تستعمل في المدينة لحفظ الماء نقياً وبالمقابل جهّزت الموصل بهدينان بالحنطة والشعير والالبسة والقماش والقطن والتمور والملح والمنتجات الأوربية ، ويظهر من هذا النمط التداولي أن التجارة بين الموصل وبهدينان لم تكن في صالح أهل الموصل وتجارها لأن الاستيرادات فاقت الصادرات كثيراً لكن حين نضعها في إطار أوسع ، فإن هذا النمط من التبادل يوضّح دور الموصل كوسيط ناجح بين المناطق المنتجة والاطراف المستوردة ، وقد استفادت الموصل كثيراً من التجارة مع بهدينان كونها مركز تجمع للبضائع نحو المدن الأخرى .

كانت طرق التجارة التي ربطت الموصل بإمارة بهدينان من أهم الطرق التجارية التي تميزت بالحيوية والنشاط ، ذلك مثّلت بهدينان منطقة إنتاج للعفص غاية في الأهمية ، وكانت هذه الامارة ترتبط بصلات تاريخية مع الموصل منذ العصر الأتابكي (الديوه جي ، ٢٠١٣) وطيلة العهد الجليلي (رؤوف ، ١٩٧٥) حرصت الموصل على ادامة السلام مع امارة بهدينان وإدامة الطريق المؤدي إليها وكانت الاحداث الخاصة بالسلب والنهب قليلة جداً إذ انتشرت القرى والحقول بين الموصل وبهدينان مما يدل على حالة الامان التي كانت عليها .

كما ان تجارة بهدينان كانت معظمها مع الموصل وكانت تعد سوق رئيسية ، ويبدو أن عقرة (الجوادي ، ٢٠١٥) كانت في مقدمة مناطق بهدينان التي ترتبط بعلاقات تجارية وثيقة مع الموصل نظراً لقربها الجغرافي ، وكان العديد من سكان عقرة يتقنون اللغة العربية لكثرة ترددهم على الموصل ، كما إن أهل الموصل يقصدون عقرة للحصول على منتجاتهما حتى أنهم أطلقوا على عقرة (كجك اسانبول) أي إستانبول الصغيرة ، فكانت منتجاتها الزراعية من قبيل العفص والرز العقراوي والقطن والجلود والرمان وشرابه والعسل والمنتجات الحيوانية من حليب ودهن ونحوها فضلاً عن الفواكه (العمري ، ١٩٦٨) كالتين والعنب والتفاح والخوخ من أبرز المنتجات المصدر إلى الموصل وأسواقها ، كما اشتهر سكان عقرة ببعض الصناعات اليدوية حتى أن أسواقها كانت متخصصة ومقسمة حسب الحرف مثل سوق الصاغة والندافين والاحذية (الدوسكي ، ٢٠٠٦) ربما تحاكي بذلك أسواق الموصل القديمة التي تتميز بالتخصص أيضاً .

كان النزاع السياسي في إمارة بهدينان يؤثر بشكل كبير على العلاقات التجارية بين الموصل وبهدينان ، فقد تسبب وفاة والي العمادية سنة١٧٩٨م إلى تفجر نزاع داخل بيت الإمارة

توقفت على إثره النشاط التجاري مع الموصل ، مما دفع الوالي الجليلي إلى محاولة التدخل ورأب الصدع بين المتخاصمين ، ولما لم يتم حسم الخلاف طلب والي بغداد علي باشا من محمد باشا الجليلي التدخل باسمه لتسوية الخلاف ، فتم تسوية الخلاف بإرسال الوالي الجديد مبلغ من المال وقدره مئة ألف قرش إلى بغداد (العمري ، ١٩٤٠ ؛ لانزا ، ١٩٥٣).

وبعد نهاية الحكم المحلي في الموصل سنة ١٨٣٤م ونهاية الحكم المحلي في بهدينان انضمت الاخيرة إلى ولاية الموصل سنة ١٨٤٢م فنشأت روابط اقتصادية أكثر وثاقة من ذي قبل لكن الحقيقة لم يكن رأس المال المحلي المستفيد الاساسي منها بل رأس المال الاجنبي الذي نشط بدعم من القنصليات والشركات التجارية فقد أسست بريطانيا قنصلية لها في الموصل سنة ١٨٣٩م واستطاع رأس المال التجاري الاجنبي من التنافس بأفضلية مع رأس المال التجاري المحلي(كيمب ، ٢٠٠٧) سواء الموصلي أو البهديناني .

ثالثاً : طبيعة العلاقات السياسية بين الموصل وبهدينان وفقاً لكتابات العمري:

كان حين ينشب خلاف أو صراع على الامارة داخل الاسرة البهدينانية يلجأ البعض إلى الموصل بل في بعض الاحيان أهالي بهدينان يهربون إلى الموصل كما حدث حين حاول أحد أقرباء الامير بهرام بك تولى الحكم بدعم من والي بغداد فنشب النزاع بينه وبين ابن بهرام اسماعيل بك سنة ١٧٨٧م وكنتيجة للصراع هرب أهالي عقرة إلى الموصل طلباً للأمان (العمري ، ١٩٤٠؛ كيمب ، ٢٠٠٧) .

لقد سعى ولاة الموصل من الجليليين إلى احتواء الساسة الكرد وتسوية الخلافات بسرعة حرصاً منهم على الصلات التجارية وأن لا تخلق المنطقة بؤر توتر قد تؤثر على النشاط الاقتصادي والسياسي لولاية الموصل ، ففي عام ١٧٣٧م حاصر حسين باشا الجليلي العمادية في أعقاب خلاف بينه وبينهم ، وتم الاتفاق على شروط أعيدت العلاقات بسرعة بينهما(العمري ، ١٩٤٠) ويؤكد العمري أنه طيلة حكم والي بغداد سليمان الصغير بقيت العلاقات بين الموصل والعمادية متوترة في ضوء جهود سليمان الصغير المستمرة لأن يضع ضغطاً على الجليليين باستخدام نفوذه مع الاكراد (العمري ، ١٩٤٠) إن بغداد لم تكتف بالسيطرة على طرق التجارة الرابطة بين الموصل بأسواق سوريا بل أيضاً حاولوا عزل الموصل عن أراضيها الداخلية .

لقد اهتم العمري كثيراً بالصراعات الداخلية التي وقعت بين أمراء بهدينان وطمعهم بالسلطة وهي جزء من صراعات مستمرة داخل البيت البهديناني لحكم الامارة وقد أرجع العمري هذه الصراعات ، من بين الاسباب التي أدت إلى ضعف الامارة ومن ثم سقوطها (العمري ، ١٩٤٠).

وعن طبيعة العلاقات بين الموصل وبهدينان يشير العمري إلى العلاقات الايجابية بينهما يذكر في حوادث عام ١٦٢٢م أن مراد خان بن علي العمري واخوه محمد بن علي العمري توجها نحو

العمادية فأقاما في قلعة القمري إلى أن رحلت العجم من الموصل (العمري ، ١٩٨٤) إلا ان العلاقات شهدت تدهوراً في مدة حكم الاسرة الجليلية (١٧٢٦-١٨٣٤م) (الدوسكي ، ٢٠٠٦) لكن هذا التدهور في العلاقات لم يكن دائماً وعلى طول الخط إذ أن المصالح الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية كانت وثيقة بين بهدينان والموصل بحيث بات من الصعوبة بقاء العلاقات بينهما منقطعة.

كما إن العلاقات السياسية بين أمراء بهدينان وولاة الموصل من الجليليين كانت تتأثر بطبيعة العلاقة بين الموصل وبغداد ، وكان في غالب الاحيان يتم الزج بإمارة بهدينان بهذا الصراع كما حصل حين هاجم حسين باشا الجليلي سنة ١٧٤٠م العمادية وذهب رساتيقها (قراها) وتم حصار العمادية لمدة شهرين ولم ينتهي الحصار إلا بعد دفع الامير بهرام باشا (١٦٩٥-١٧٦٨م) مبلغاً من المال إلى الوالي الجليلي على سبيل المصالحة ، فاستأنف السفر بين العمادية والموصل (العمري ، ١٩٤٠).

وفي عهد محمد باشا الجليلي (١٧٨٩-١٨٠٦م) حرص على اضعاف ارتباط بهدينان بولاة بغداد وحاول كسب الامراء إلى صفّه وقد نجح في ذلك ، إذ نجح في تحسين علاقاته مع والي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) مما أدى إلى تزايد نفوذ ولاة الموصل على إمارة بهدينان وأطرافها حتى وصل الأمر إلى تدخل والي الموصل في شؤون البيت البهديناني نفسه (العمري ، ١٩٤٠).

وفي كتابه غاية المرام في ذكر محاسن بغداد دار السلام خصص العمري فصلاً كاملاً للحديث عن أمراء بهدينان بوصفهم تابعين لولاية بغداد ، ويقول أيضاً أن العمادية كانت من مضافات بغداد ، وكان على أمرائها أداء الضريبة السنوية لقاء اقرار حكام بغداد لهم بالحكم وإرسال الخلعة الرسمية (العمري ، ١٩٦٨) ، ويورد في كتابه ذكر لأبرز أمراء بهدينان وعلماءها ، وفي هذا الصدد يصف العمري أمير بهدينان بهرام باشا والي العمادية بأنه :" عاقلاً فاضلاً فيه كرم أخلاق وحسن سياسة للرعية ، وكانت بلاد الاكراد والجبال والقبائل آمنين في أرغد عيش واهناه إلى ان توفي سنة ١١٠٢هجرية" (العمري ، ١٩٤٠، ص١٠٢) ، أما ابن بهرام اسماعيل باشا فيذكر فيما يذكر من سيرته أنه حارب الطامعين على السلطة ، وعاقب من ساند خصومه بالصلب ، وذكر ما دار بينه وبين إخوته من منافرة أدت به إلى طردهم من العمادية ، وقتله لأمير الشيخان وأخيه ، وهكذا يورد العمري أمراء بهدينان حسب الترتيب في تولي الامارة ، ويصف كل شخصية منهم بأبرز ما يتصف به من صفات ومزايا ، فيصف سلطان حسين بك ابن بهرام باشا بأن فيه :" جود وكرم وحسن خلق وسياسة " (العمري ، ١٩٤٠، ص١٠٣) ، أما خليل بك بن بهرام فيصفه بالشجاعة والاقدام لكن يتهمه بوقوفه وراء الفساد بين أبيه ووالي الموصل ، ويعترف العمري انه يجهل تاريخ وفاته (العمري ، ١٩٤٠) ويخص محمد الطيار بك بن اسماعيل باشا بكلام خاص ، فقد ذكر

العمري سيرة هذا الامير بعد أخوته وأخّره لأنه غلام ، ووصفه بأن :" فيه شهامة وكرم نفس وحسن خلق لما توفي والده كان في سن الاحلام فملّكه أباه جميع ما يملك يداه من بسط وفرش وصفر وسلاح وتفنك ولؤلؤ ودراهم ودنانير وخيل بزينتها وما شاكل ذلك من حطام الدنيا ثم عهد له للملك من بعده ومات فتقوى عليه أخاه مراد خان وعزله من الملك " (العمري ، ١٩٤٠ ، ص١٠٦).

رابعاً : ما جاء من ذكر لأمارة بهدينان في مؤلفات العمري:

ففي التاريخ السلالي كان للعمري كتاب بعنوان : عنوان الاعيان في ذكر تواريخ ملوك الزمان ، وهو مخطوط المكتبة الوطنية ، برلين تحت الرقم ٩٤٨٤ ، يورد في الورقة ٣٠٣ في ترجمة السلطان محمود الاول الخبر الاتي : " في عام ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠م سار حسين باشا الجليلي والي الموصل على رأس جنده وحاصر العمادية وسوف نتعرض لهذا الحدث في ترجمة الوزير المذكور" (كيمب ، ٢٠٠٧، ص١٥٤) وفي الفصل الأخير من هذا الكتاب يبحث العمري في السلالة الجليلية لكن الفصل الاخير مفقود ، والكتاب تألف من مقدمة وثلاثة وأربعون فصلاً وخاتمة وقد أهداه إلى سعد الله بك بن حسين باشا الجليلي قبل توليه الولاية على الموصل (كيمب ، ٢٠٠٧).

كما أورد كيمب ملاحظة مهمة حول الكتاب مفادها أن صديق بك الجليلي لما قام بنشر كتاب : غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر عام ١٩٤٠ اتصل به عضو بارز من الاسرة العمرية طلب منه أن يقصي عن النشر مقاطع من المخطوط ينتقد فيها ياسين العمري الاكراد نقداً لاذعاً : ذلك لأن وجيهاً عمرياً في ذلك الزمان تزوج من فتاة من أسرة كردية وكنتيجة لهذا الرجاء تم سحب جميع النسخ المطبوعة لكتاب غرائب الاثر من المكتبات وانتزعت الصفحتان ٨١ و ٨٢ قبل أن تعاد النسخ إلى التداول ، وهناك نسخة في مركز الشرق الاوسط (كلية القديس انطون ، اكسفورد) نجت من هذا التشويه الذي حلّ بأخواتها من نسخ هذا الكتاب (كيمب ، ٢٠٠٧) ، هذا فضلاً عن ذكره لأمارة بهدينان والاكراد جنباً إلى جنب مع اليزيدية في سنجار . إن كتاب غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر وهو من نوع الكتب الاخبارية والذي أكمله العمري سنة ١٨١١م بعد تعيين سعد الله باشا الجليلي والياً على الموصل ، إن معظم الاخبار التي سجّلها في كتاب الغرائب كان تاريخاً للعراق بما فيه : الموصل وبغداد والاكراد دائرة الاهتمام الرئيسية فيه ، فيقدم ياسين العمري بصورة ممتعة الوضع السياسي للعراق منذ منتصف القرن الثامن عشر خاصة علاقات الموصل وحاجتها للاحتفاظ بعلاقات جيدة مع أكراد الجبل الذين يسيطرون على الارض المنتجة لمحصول العفص (كيمب ، ٢٠٠٧). وينتقد العمري موقف أمير بهدينان زبير باشا (١٨٠٧-١٨٣٣م) الموالي لباشا بغداد سليمان الصغير فيقول :" وكفى جهالة بوالي العمادية حين أرسل له والي بغداد يأمره بإرسال عسكراً لمعونة أحمد باشا بن بكر افندي

فامتثل أمره وجمع العساكر من القبائل وسيرهم إلى محاربة أهل الموصل ومعونة أحمد باشا فقدموا جبل مقلوب وقراه التابعة للموصل وجعل عسكره يصادر أهل القرى ويأخذ الذخائر فكتب له آل عبد الجليل كتاباً وحذروه البغي فكتب إليهم الجواب، ومن بعضه: فلنأتكم بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون، وأمثال ذلك من التهديد والوعيد والقول الذي ليس بالسديد (العمري، ١٩٤٠).

وكتاب غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام والذي ذشره علي البصري سنة ١٩٦٨م تعتمد على مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي رقم ٦٢٩٥ من ٤٣٤ ورقة وهي لعبد الغني الدروبي ومؤرخة سنة ١٩١٦ وهي مخطوطة معتمدة على مخطوطة ياسين العمري نفسه، يتبين من عنوان الكتاب مكانة بغداد السامقة عند المؤلف وتقدم فصول الكتاب الاثنى عشر تفصيلاً عن بغداد، خصّص الفصل الثاني عشر للمدن الواقعة تحت تصرف ولاية بغداد، ومن بين هذه المدن الوارد ذكرها مدينة العمادية حيث يورد في صفحة ١٠٢ من الكتاب فصل كامل تحت عنوان: فصل في ذكر أمراء بهدينان" وذكر فيها بعض علمائها المتصفين بالعلم والرشاد والسداد" (العمري، ١٩٤٠، ص١١٠-١١١)، وقدّم ياسين العمري وصفاً لأمارة بهدينان وأبرز الحرف والنشاط الزراعي والتجاري مع الموصل والأهم من كل ذلك يخبرنا العمري عن بعض آراء أهل الموصل باكراد الجبل (كيمب، ٢٠٠٧). كما إنه في الفصل المخصص لذكر أمراء بهدينان بوصفهم أمراء العمادية التابعة لبغداد جاء بذكر أمراءها ولم يغفل عن ذكر علمائها ومن الشخصيات التي أشار اليها العمري شخصية الشيخ محمود أفندي العمادي الشافعي مفتي العمادية وعالمها ومدرسها وجاء في ذكره أن للشيخ تصانيف عديدة ومحاسن مفيدة منها تفسير الفاتحة في مجلد كامل كتبه بدون تنقيط، وذكر العمري من العلماء أيضاً: ملا عبد الله بن أحمد الريكاني الشافعي، وملا محمد مصطفى الزياراتي وصفه بأنه علاّمة العلوم في عصره وفقيه لا يبارى فقيه أو أديب..، وكذلك ذكر من العلماء ملا أحمد الزيباري الذي وصفه العمري بأنه أحد العلماء الاعلام فرداً بالعلوم وفيه "حماقة" وشجاعة حتى كان ينكر على إسماعيل باشا أفعاله وحرّض بيرم بك على الخروج عليه وفي سنة ١١٩٧هجرية قدم الموصل ورأيته وهو يحمل سلاحاً حذراً من القتل ثم خرج من الموصل فتم رصده من إسماعيل باشا وتم القاء القبض عليه في جبل مقلوب وتلميذه شعيب معه وتم صلبهم في العمادية" (العمري ١٩٤٠، ص١٠٩-١١٠)، وكذلك جاء في كتابه من العلماء ذكر محمد الزياراتي وملا يحيى المزوري الذي يكيل له المديح فيصفه بأنه :" عالم العلوم بلا شقاق وحبر علماء الافاق مع تقوى وصلاح وزهد وعفاف وفلاح مدحه ببيت شعر جاء فيه:

في كل فن له فهم ومعرفة فسل خبيراً به ينبيك بالخبر

و قد قدم المزوري الى الموصل اشترى داراً و سكنها ودرّس بمدرسة الحاج زكريا التاجر وتتلمذ على يديه جماعة ، وسافر إلى الحج ولما عاد أرسل والي العمادية يستدعيه وحبب إليه العودة إلى وطنه في هذا الوقت كان محمد باشا الجليلي قد أحدث في جامعه (يقصد جامع محمد الزيواني) مدرسة جعلها دار حديث فكان المزوري يدرّس بها الحديث ثم عاد إلى العمادية ، وبعدها رحل الى قبيلته مزوري وترك التدريس (العمري ، ١٩٤٠).

ومن العلماء الذين أوردهم في هذا الكتاب ايضاً : الحاج بير رجب العقراوي الزيباري وهذا الرجل الكريم كان له دور في المشاركة في طرد الفرنسيين من مصر الذين غزوها سنة ١٧٩٨م حين ذهب برفقة جماعة من الاكراد معه إلى الوزير العثماني يوسف باشا ، وكذلك شارك مع والي بغداد علي باشا في حصاره أهل جبل سنجار ومعه أربعمئة رجل (العمري ، ١٩٤٠) . وهكذا نلحظ أن العمري في ذكره لإمارة بهدينان في كتابه غرائب الاثر ركّز بشكل كامل على الامراء وأبرز العلماء ، إلا أن الملاحظ على هذا الكتاب تجنبه لذكر تجار بهدينان أو ذكر لأبرز الصناعات التي فيها .

وفي كتابه : زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية لم يكتف العمري بذكر تاريخ إمارة بهدينان أو علاقاتها مع الموصل فقط بل اهتم أيضاً بإيراد معلومات قيمة حول علاقتها مع الامارات الكردية المجاورة ، فذكر أنه في سنة ١٧٩٤م توترت العلاقات بين إمارة بهدينان وإمارة بوتان وتطورت إلى صراع عسكري تمكنت إمارة بوتان من هزيمة قوات بهدينان قرب بلدة زاخو (العمري ، ١٩٨٤). إن هذا الاهتمام بالإمارة البهدينانية يعكس اطلاعاً واسعاً واهتماماً بالغاص بهذه الامارة ليس كونها قريبة من الموصل فحسب بل إلى ادراكه اهميتها على مسرح التاريخ وتأثيرها الكبير على المنطقة .

الخاتمة:

حظي تاريخ إمارة بهدينان في العهد العثماني باهتمام العديد من المؤرخين والرحالة الذين زاروا وكتبوا عنها نظراً لما تمتعت به الامارة من مكانة مهمة ونشاط عبر سنوات حكمها وكانت إمارة بهدينان تمثل واحدة من أبرز الامارات الكوردية التي ظهرت في العهد العثماني وكان لها ادوار سياسية وحضارية مهمة وعلاقات بارزة مع المناطق المجاورة لها بما فيها ولاية الموصل . ونتيجة لهذه العلاقات فقد اهتمت الموصل بهذه الامارة وحظيت باهتمام من قبل الولاة والحكام ، مما استدعى قيام المؤرخين الموصليين بالكتابة عنها نظراً لقوة العلاقة بين الامارة والموصل وترابط المصالح السياسية والاقتصادية بينهما لا سيما وان التجارة كانت واحدة من اهم الروابط التي عززت العلاقة بين الموصل وامارة بهدينان .

كان المؤرخ الموصلي يعد واحداً من اهم مؤرخي الموصل في القرن الثامن عشر على الاطلاق نظراً لغزارة المؤلفات التي كتبها خاصة في التاريخ بحيث بات من الصعوبة إن لم يكن من المستحيل تجاهل الرجوع الى مؤلفاته التي بلغت نحو سبعة عشر مؤلفاً وصلنا منها خمسة عشر مؤلفاً لا يزال اغلبها ينتظر التحقيق وبعضها جرى تحقيقها على يد مؤرخي بارزين امثال سعيد الديوه جي وعماد عبد السلام رؤوف ومحمد صديق الجليلي .

تناول المؤرخ ياسين العمري في مؤلفاته امارة بهدينان في بعض مؤلفاته ولم يقتصر على ذكر جانب دون آخر رغم ان التركيز كان على الجانب السياسي بشكل كبير إلا انه لم يغل الجانب الاقتصادي والعلمي حيث جاء في بعض مؤلفاته ذكراً لأبرز علماء بهدينان وصلتهم بالموصل وباحداث المنطقة ، ولا شك ان العمري كان منحازاً بشكل واضح الى الامراء الجليليين الذين اغدقوا العطاء له وكان هو نفسه احد افراد اشيتهم لذلك تضمنت بعض كتاباته عن بهدينان بالطعن والنقد خاصة في فترات كانت تشهد توتر بين الموصل وبهدينان فنجد انحياز العمري واضحاً للموصل وللامراء الجليليين على حساب العمادية وامراء بهدينان وهذا امر يمكن ان نجد له مبرراً واضحاً لا سيما وأنه من سكان الموصل وتربطه علاقات وطيدة بحكام الموصل ولم تكن علاقاته مع امراء بهدينان وثيقة ، كل هذا يدفع الباحث للتأكيد على " تحيز " العمري الواضح لصالح الموصل ومع ذلك لا يمكن الاستغناء عن مؤلفاته خاصة تلك التي تتحدث عن بهدينان وامراءها .

المصادر:

١- كيمب ، بيرسي . (٢٠٠٧). الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤ ، ترجمة : محب الجليلي وغانم العكيلي .الموصل. العراق: مركز دراسات الموصل.

٢- البدليسي ، شرف خان . (٢٠٠١). شرفنامه . ت: محمد جميل . اربيل . العراق : مطبعة وزارة التربية .

٣- الجوادي ، غسان (٢٠١٥) . مدينة عقرة في العهد العثماني من خلال مؤلفات مؤرخ الموصل ياسين بن خير الله العمري . مجلة جامعة زاخو . المجلد ٣ B . العدد الاول.

٤- الدوسكي ، (٢٠٠٦) بهدينان في أواخر العهد العثماني ١٨٧٦-١٩١٤ دراسة تاريخية . الموصل . العراق : جامعة الموصل .

٥- الديوه جي ، سعيد ، (٢٠١٣) تجارة في مختلف العصور . الموصل . العراق : دار ابن الاثير.

٦- رؤوف ، عماد عبد السلام . (١٩٧٥) الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩هـ / ١٧٢٦-١٨٣٤م . النجف . العراق : مطبعة الاداب .

٧- العباسي ، محفوظ . (١٩٦٩) . امارة بهدينان العباسية . الموصل . العراق : مطبعة الجمهور.

٨- العمري ، ياسين بن خيرالله . (١٩٤٠) . غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر . الموصل . العراق : مطبعة ام الربيعين .

٩- العمري ، ياسين بن خيرالله . (١٩٦٨) . غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد . بغداد . العراق . دار السلام .

١٠- العمري ، ياسين بن خيرالله . (١٩٨٤) . زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية. تحقيق : عماد عبد السلام رؤوف . النجف . العراق : مطبعة الاداب.

١١- لا نزا ، دومنيكو ، (١٩٥٣) . الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لا نزا ، ترجمة : روفائيل بيداويد ، الموصل . العراق .

هوامش:

(*) وهم كل من : عثمان الدفتري العمري ويحيى بن عبدو الجليلي وأمين بن خر الله العمري وياسين بن خير الله العمري

Abstract

The history of the Emirate of Bahdinan during the Ottoman era received the attention of many historians and travelers who visited and wrote about it due to the importance and activity the emirate enjoyed throughout the years of its rule. With its neighboring regions, including the state of Mosul. As a result of these relations, Mosul took care of this emirate and received attention from the governors and rulers, which necessitated that Mosul historians write about it due to the strength of the relationship between the emirate and Mosul and the interdependence of political and economic interests between them, especially since trade was one of the most important links that strengthened the relationship between Mosul and the Emirate of Bahdinan. From this point of view, the works of the Mosul historian Yassin bin Khairallah Al-Omari shed light on an important aspect of the history of the Emirate of Bahdinan, Especially since his writings, which amounted to seventeen books , some of which included various events about Bahdinan, were not limited to the political aspect only, but also included the economic and scientific aspects. The research is an attempt to shed light on the efforts of this great historian who is indispensable for any researcher in the history of the region to do without.

Keywords: *Bahdinan, Yassin Al-Omari, the eighteenth century, Mosul historians*

Behdînan di nivîsarên dîroknasên Mûsilê de di sedsala hejdehan de

Kurte:

Dîroka Mîrnişîna Bahdînan a di serdema Osmaniyan de bala gelek dîroknas û gerokên ku serdana wê kirine û li ser wan nivîsandî ye, ji ber statû û çalakiyên girîng ên mîrnişîniyê di salên desthilatdariya xwe de dihewîne. dewleta Mûsilê. Di encama van peywendiyan de, Mûsil eleqeya xwe bi vê mîrnişîniyê re girt û bala walî û mîrên mîrnişînî wergirt, ku pêwîst bû dîroknasên Mûsilê li ser vê yekê binivîsin ji ber bihêzbûna peywendiya di navbera Mîrnişîn û Mûsilê de, û girêdayîbûna siyasî û siyasî. berjewendiyên aborî di navbera wan de, bi taybetî ku bazirganî yek ji girîngtirîn girêdan bû ku peywendiya di navbera Mûsil û Mîrnişîna Behdînan de bihêz kir. Ji vî alî ve, berhemên dîroknasê Mûsilê Yasîn bin Xêrallah El-Omerî ronahiyê didin ser aliyekî girîng ji dîroka mîrnişîniya Behdînan, bi taybetî ku pirtûkên wî, ku ji hivdeh pirtûkan pêk dihatin, ku hinek ji wan pirtûkên curbicur hene. behsa mîrnişîniya Behdînan û dîroka wê dike û tenê ji aliyê siyasî ve sînordar nebû, di aliyê aborî û zanistî de jî di vê lêkolînê de hewl tê dayîn ku ronîkirina hewlên vî dîrokzanê gewre. Ji bo her lêkolînerê dîroka herêmê pêwîst e ku dev ji nivîsên xwe berde.

Peyvên Sereke*: Bahdînan, Yasîn El-Omerî, sedsala hejdehan, dîroknasên Mûsilê.*